تفريغ وتصميم:

أم إستبرق

شبكة الإمام الآجري
ajurry.com

إن فرج الله قريب

لفضيلة الشيخ :

عبد الله بن عثمان الذماري

إن فرج الله قريب

محاضرة صوتية مفرغة

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن عثمان الذماري

إصدارات: شبكة الإمام الآجـــوري
موقـــع علــمي متـــخـصـص
في المتون العلمية وطلب العلم الشرعي

تفريغ وتصميم:
أم إستبـــرق
محرم ١٤٣٣هـ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله تعالىٰ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

(آل عمران: ١٠٢)

﴿أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

(النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾. (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله وعلىٰ آله وسلم، و شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من النار.

أيها المؤمنون؛ الحمد لله الذي يسَّر لنا زيارتكم واللقاء بكم إلىٰ هذا المسجد المبارك، لقاءً علىٰ كتاب الله الكريم وعلىٰ سنة محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

وما أحوجنا في هذه الأيام إلىٰ مثل هذه المجالس، التي يزيد فيها الإيمان، وتُرفع فيها الدرجات، وتُغفر فيها الزلات، وتَنزل فيها الرحمات وتُكفَّر فيها السيئات، فما أحوجنا إلىٰ هذا.

أيها الإخوة؛ الكل يشعر بما هو حاصل في هذه الأيام من أزمات، ومن متاعب ومصائب، ولهذا شعر الكثير من المسلمين بضيق من ما هو حاصل؛ تَعسرت علىٰ المسلمين حوائجهم وأمورهم مما جعل الكثيرين من الناس يضيقون من الوضع، فنقول أولا؛ ما حصل فهو بالذنوب والمعاصي ولا شك ولا ريب.

فقد قال ربنا في كتابه الكريم :﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورىٰ: ٣٠)، فأيُّ مصيبة تنزل بالمسلمين، بالذنوب والمعاصي، ولهذا، جاء عند ابن ماجة والحاكم والبيهقي وغيرهم من حديث عبد الله بن عَمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم "يا معشر المهاجرين خِصال خَمس إنْ أدركتموهن وأُعيذكم بالله أن تُدرِكوهن ما فشت الفاحشة في قوم قط، حتىٰ يُعلنوا بها، إلا فشىٰ فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوْا، ولم يُنقصوا المكيال والميزان، إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطَروا، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، إلا سلَّط الله عليهم عدوا يأخذ بعض ما في

أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وبسنة رسول الله عليه وعلىٰ آله وسلم، إلا جُعل بأسهم بينهم"(1).

هذا الحديث يُعتبر عَلَمـًا من علامات النبوة؛ إذ أن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم أخبر بأشياء لم تكن موجودة فوقعت كما أخبر.

وانظر إلىٰ قوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، **ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنين**؛ أي بالجذب والقحط، **وشدة المؤونة**؛ وشدة المؤونة هنا أن تتعسر علىٰ الناس أمورهم، تتعسر كما هي الآن، وشدة المؤونة تصبح حوائج الدنيا شديدة وثقيلة ومتعسرة علىٰ الناس، **وجور السلطان**؛ أي وظلم الولاة، فما أصيبت به الأمة فبالذنوب والمعاصي.

ولهذا؛ المطلوب من جميع المسلمين العودة إلىٰ الله والرجوع إلىٰ الله، ومتىٰ رجعوا إلىٰ الله أوشك أن يفرج الله عنهم كربهم.

جاء عند الإمام أحمد وعند الترميذي وأبي يعلىٰ وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء

(1) قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1 / 167 : رواه ابن ماجه (4019) و أبو نعيم في "الحلية" (8 / 333 334) عن ابن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن "عبد الله ابن عمر" قال : أقبل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : فذكره.

لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف"(1). هذه رواية الترميذي وجاء أيضا عند أحمد، وجاء في رواية عند غير الترميذي، قال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: "احفظ الله تجده تجاهك، وأعلم أن ما كان ليصيبك لم يكن ليخطئك، وما كان ليخطئك لم يكن ليصيبك -ثم قال- تعرف علىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا"(2).

في هذا الحديث بشارة، بل بشارات من الرسول عليه الصلاة والسلام، فالرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول **تعرف علىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة؛** إذا أردت أن يعرفك رب العالمين عند الشدائد، وأن يستجيب دعاءك عند الشدائد، لابد أن تكون متصلا به دائما في زمن الرخاء وفي زمن الرزق الوافر، وفي زمن الأمن، وفي زمن العافية وفي زمن الراحة، لا تغفل عن رب العالمين في زمن الراحة، وإن فعلت ربما لا يستجيب الله لك الدعاء . ولهذا، جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم قال: "من سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب، فليُكثر من الدعاء في الرخاء"(3).

---

(1) أخرجه الترمذي كتاب: صفة القيامة، باب، (2516) والإمام أحمد عن عبدالله بن عباس، ج1/ ص293، (2669).

(2) الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين – ج3/ ص624، كتاب معرفة الصحابة، (6304) وقال عنه الذهبي في التلخيص: ليس بمعتمد.

(3) رواهُ التِّرمذيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ في السِّلسِلة الصَّحيحة: 595.

أكثر من الدعاء في زمن الرخاء وفي زمن الراحة، إذا أردت أن يستجيب الله لك عند الشدائد والكُرَب .

ولهذا أيها الأخ الكريم؛ مهما ضاقت الأمور، ومهما اشتدت، فإذا رفع المؤمنون إلىٰ الرحمن فسرعان ما يأتي الفرج من الله، وفرج الله قريب.

يقول بعضهم:

وَلَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتىٰ ❊❊❊ ذَرْعـًا وعندَ اللهِ فيها المخرَجُ

ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حلقاتُها ❊❊❊ فُرِجَتْ وكانَ يظنُّها لا تُفرجُ

فالفرج كما قال الرسول عند الكرب **واعلم أن الفرج مع الكرب،** فكلما زاد الكرب، وكلما زاد الضيق قرُب الفرج بإذن الله.

قال ربنا في كتابه الكريم ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❊فإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح :٥-٦)؛ فاليُسر يُسران والعسر واحد، العسر واحد والُيسر يُسران، ولن يغلب عسر يُسرين، بإذن الله.

ولهذا ننظر إلىٰ ما حدث لمن قبلنا، وكيف كان ينزل الكرب عليهم ويأتي الفرج؛ هذا نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام، الذي عاش في قومه يدعوهم إلىٰ الله، ألف سنة

إلا خمسين عاما، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤).

عاش نوح تسعمائة وخمسين عاما يدعو قومه إلىٰ الله، ومع هذا، فكانت دعوته مستمرة، في الليل والنهار، والسِّر والجهر، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ (نوح: ٥ - ١٠)

يبشرهم نوح عليه الصلاة السلام أنهم إذا رجعوا إلىٰ الله، وأنهم إذا عادوا إلىٰ الله نالوا خيْريْ الدنيا والآخرة ونالوا سعادة الدنيا والآخرة، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ (نوح: ١٠-١٤)

يبشرهم بالمغفرة بداية، ثم يبشرهم بالخيرات إذا عادوا إلىٰ الله ورجعوا إلىٰ الله، ولكنهم أصروا علىٰ ظلمهم وجرمهم، فعندما يئس نوح من قومه وأنزل الله عليه ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾(هود: ٣٦)، هناك ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح:٢٦-٢٧)، إذا لا فائدة في بقاء هؤلاء الأمم، لا فائدة في

بقائهم، لأنهم يفسدون من يأتي بعدهم من الأبناء ومن الأطفال، ولهذا كان الواحد منهم يُعلِّم أطفاله الكفر، ويُحذر أطفاله من إتباع نوح عليه الصلاة والسلام، فجاء الغوث وجاء الفرج من الله رب العالمين، بعد الكرب الطويل الذي عاشه نوح عليه الصلاة والسلام ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ* فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ* فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ* وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَىٰ الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ (القمر: ٩-١٤). فجاء الفرج وطهر الله الأرض من جميع الكافرين، وما بقي إلا المؤمنون علىٰ وجه الأرض، وما بقي إلا أصحاب السفينة، الذين ركبوا في السفينة وأهلك الله بقية الأمم، بل أهلك الله من في الأرض جميعا.

وهكذا حدث ما حدث لهود، وكذلك ما حدث لصالح وكذلك ما حدث للوط، وكذلك ما حدث لشعيب، فقد كانوا يدعون أقوامهم، فلما ضاقت بهم الأمور، لجأوا إلىٰ الله، عندما يئسوا من إيمان أممهم، فجاء الفرج من الله رب العالمين.

وانظر إلىٰ ما حدث لنبي الله يعقوب ولنبي الله يوسف عليهما الصلاة والسلام؛ يوسف ولا يزال في صغره حسده إخوانه وتآمروا عليه، تآمروا بدايةً علىٰ قتله، ثم تراجعوا وقرروا علىٰ إلقاءه في بئر من الآبار، وفي جُبٍ من الجِباب، ليتخلصوا منه، وهو

في صغر سنه لا يدري ما يدور حوله. وانظر إلىٰ البلاء كيف ينزل بالأنبياء، ومع ذلك هم صابرون، ولكن لا يدوم البلاء، يأتي الفرج فإذن الله رب العالمين.

ولهذا قال إخوانه لأبيهم ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ۞قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾(يوسف : ١٤-١١)، فما إن ظفروا بيوسف، إلا وقرروا أن يلقوه إلىٰ الجُب (أي إلىٰ البئر)، وفعلا نفذوا خطتهم، وألقوه في البئر، وإذا بيوسف علىٰ صغر سنه يجد نفسه في بئر لا يستطيع أن يتسلق منها لا يستطيع أن يصعد منها، ولا يجد من يأخذ بيده ولا يجد من ينجده، فيَسَّر الله له بعض المسافرين، ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(يوسف : ١٩). انظر جاء هذا الذي جاء ليستسقي لقومه، فوجد هذا الطفل الجميل، وهذا الغلام الجميل فرفعه، ثم ماذا؟ زهدوا فيه وباعوه بثمن بخس، واشتراه عزيز مصر.

وانظر،كان يوسف في كرب وهو في البئر، جاء الفرج وأخرجه الله من البئر، فانتقل من البئر ومن سجن البئر إلىٰ سجن العبودية، وأصبح مملوكا لمخلوق، دخل في كرب جديد ولكن أوصىٰ به عزيز مصر، وقال لزوجته ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ...﴾ (يوسف :٢١).

انظر، فهيأ الله له هذا البيت، وفي مكان ثري وفي بيت من بيوت الأثرياء، لكن مرت الأيام، ومر الزمن فتكامل جسم يوسف، وكان أجمل أهل زمانه عليه الصلاة والسلام، وفُتِنت به امرأة العزيز، وإذا به يواجه كربا جديدا

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (يوسف : ٢٣).

انظر، وقع في كرب جديد أعظم من الكربين الأوليين، وهو في وضع يصعب علىٰ مثله أن ينجوا من هذا المأزق؛

أولاً :غريب عن أهله وعن من يعرفه، فليس له من ينصره،

ثانيا :مملوك، لا يمالك نفسه ولا يملك حريته،

ثالثا: هو في بيت المرأة، وهي سيدته، وله وزمامه بيدها،

رابعا: هو فقير، لا يملك شيئا إن خرج من هذا البيت وفرْ،

خامسا :قد لا يستطيع أن يفر لأنه تحت سيطرة مسؤولي تلك البلاد،

إضافة إلىٰ الأمور الأخرىٰ، فهو في غاية من الشباب والجمال والحسن،

ولهذا؛ فهذه الدواعي تجعل العبد يضعف أمام هذا الطلب؛

فكيف والطلب من سيدة، والطلب أيضا من زوجة عزيز تلك المملكة، والطلب من امرأة في غاية من الجمال وفي غاية من الثراء، وهو مع ذلك كما سمعتم، ولكن الله ثبته وقال أول ما سمع كلامها ﴿...مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ*

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ*وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَىٰ الْبَابِ...﴾(يوسف : ٢٣-٢٥).

وهذا كرب رابع، وموقف حرج، تفاجأ وإذا بزوج المرأة يدخل من الباب، وهم في ذلك الموقف، وهي تطارده تريد أن ترغمه علىٰ أن يفعل هذه الفاحشة.

لكن انظر إلىٰ دهاء النساء، ما إن تفاجأت بزوجها إلا و﴿...قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(يوسف : ٢٥)؛ أرادت أن لا يُقتل، خافت أن تأخذه الغيرة فيَقتل يوسف، ولكنها صرَفت هذا، فأرشدت زوجها إلىٰ واحدة من هاتين الاثنتين، إلا أن يُسجن أو عذاب أليم.

قال يوسف مدافعا عن نفسه ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾

(يوسف : ٢٦-٢٩).

تناقلت الأخبار هذه الحادثة، وانتشر الخبر في المدينة، فعاب نساء المدينة علىٰ فعل هذه المرأة، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ

كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(يوسف : ٣٠-٣١).

أرادت امرأة العزيز أن تثبت للنسوة أنهن لو كن في موقفها، لوقعن فيما وقعت فيه أو أعظم.

فانظر ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ* قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾(يوسف : ٣٢-٣٣).

الآن أصبح مُخيرا بين السجن أو أن يفعل الفاحشة، فاختار السجن وظلمات السجن وغياهب السجن، واختار أن يكون بعيدا عن الراحة الدنيوية من أجل أن يسلم له دينه ومن أجل أن يسلم له إيمانه، وهذا أيضا كرب جديد.

وانظر قال ربنا في كتابه الكريم﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾(يوسف: ٣٥). قرروا أن يُسجن وبدون ذنب وبدون سبب، إلا أنه استعصم من فعل الفاحشة، فماذا حدث؟ صبر.

واستمر سجينا، سبع سنوات وهو مسجون لا يجد من يدافع عنه ولا من يراجع عليه ولا من يشفع له ولا من ينصفه من هذا الظلم، لكنه صبر وجعل يدعو إلىٰ الله بالسجن كما ذُكر في سياق الآيات، ثم جاء الفرج، ولكن، خرج مرفوع الرأس، عالي الهامة، **واعلم أن الفرج مع الكرب**، عندما طال مُكثه بالسجن، جاء الفرج من رب العالمين

سبحانه، وأخرجه رب العالمين من السجن، لا كخروج أي سجين، لا !! بل خرج والمجتمع في حاجة إليه بل ملك المملكة المصرية في حاجة إليه، رفع الله هامته.

ولهذا، عندما رأىٰ الملك تلك الرؤيا عرضها علىٰ أفراد مملكته، وعلىٰ المقربين، فأظهروا عجزهم عن تفسيرها وتأويلها

﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَىٰ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(يوسف : ٤٤-٤٩).

فرجع الذي كان سجينا مع يوسف بتفسير الرؤيا للملك، وهنا أُفرِج عن الملك، فقال ائتوني به، فلما جاء الرسول -أنظروا إلىٰ ثبات يوسف ما خرج مباشرة إلا يريد أن يخرج ببراءة رسمية- ﴿...قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(يوسف : ٥٠).

أُنظر، فعندما سُئلت النسوة ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف : ٥١-٥٣).

قال بعض العلماء قوله ما أبرئ نفسي، أن هذا الذي قاله يوسف هو الصحيح أن الذي قال هذا هي امرأة العزيز في سياق كلامها، لأن يوسف إلىٰ تلك اللحظة لم يحضر، لا يزال غائبا، قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي.

انظر، الآن الملك قرر قرارا أن يصطفيه لنفسه، وأن يجعله من خواصه، فأصبح من خواص الملك مرفوع الرأس، مرفوع الهامة، بيده خزائن المملكة المصرية كلها، بإذن الله. جاء الفرج، ورفع الله منزلته.

يعقوب عليه الصلاة والسلام، لا يزال حزينا واستمر حزنه طويلا، وهو ينتظر الفرج من الله، والرسول صلىٰ الله عليه وسلم يقول «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل ثم الأمثل، يُبتلىٰ المرء علىٰ قدر دينه، إن كان في دينه صُلبه، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة يُبتلىٰ علىٰ قدر دينه»(1)

(1) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ": الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ".أخرجه والترمذي (4/ 601، رقم 2398) وقال : حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1334، رقم 4023)، وابن حبان (7/ 161، رقم 2901)، والحاكم (1/ 100، رقم 121) وصححه الألباني (المشكاة، رقم 1562)

وهذا نبي الله يعقوب أفضل نبي زمانه، ومع ذلك صابر محتسب وهو يعلم أن يوسف لم يمت وأنه يعيش ولكن لا يدري أي أرض تُقله، وأي بلد يسكنها، ولا يدري علىٰ أي وضع هو، وعلىٰ أي حال هو، كان يخاف علىٰ ولده من شدائد الغربة أن تلجئه إلىٰ أن يسير علىٰ خط غير صحيح، ولكن الله قد حفظه، وقال عليه ربنا في بداية القصة، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف : ٢٢).

صبر يعقوب، ذكر بعض العلماء أنه صبر سبعا وعشرون عاما، و بعضهم قال أربعين عاما، وقال بعضهم ثمانين عاما، وهذا ما قرره الحسن البصري وقرره كثير من أهل العلم، أن يعقوب عليه السلام ظل بعيدا عن يوسف ثمانين سنة، وهو يبكي ليل نهار، حزين علىٰ ولده، ثم تبعه بن يامين، الولد الثاني، لكنه يعلم أن ولده الثاني سجين في سجون مصر، يعلم هذا.

فكان حزنه علىٰ يوسف أشد، لأنه لا يدري أين يعيش يوسف، وكان أحب أولاده إليه وأجمل أولاده، وهو أفضل أولاده أيضا، وانظر، صابر محتسب.

قد يقول قائل: لماذا لم يدْع يعقوب عليه الصلاة والسلام ربه من أجل أن يخبره أين يوسف؟ لكن نقول لك: أراد الله له الابتلاء ليرفع منزلته ويرفع درجته.

مرت الأيام، وبعد أن سُجن بن يامين و رجع إخوانه كما قال ربنا في كتابه الكريم وهو يذكر رجوعها: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي

أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * ارْجِعُواْ إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ *وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ *قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(يوسف : ٨٠-٨٣).

انظر إلىٰ هذا الموقف، أخوهم الأكبر قال: **لن أبرح الأرض،** أي لن أفارق بلد مصر **حتىٰ يأذن لي أبي أو يحكم الله لي،** وكان أرحم منهم بيوسف وأخيه وهو الذي أشار علىٰ أن يلقوه في البئر وأبىٰ أن يُقتَل.

انظر إلىٰ موقفه كيف يواجه أباه وقد فقد ولده الثاني، كيف؟ فرجعوا بهذه البشارة المؤلمة، فعندما جاءته هذه البشارة المؤلمة، كان عنه الله ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف : ٨٤).

تخيل يا أخي شخص يفارق ولده زمنا طويلا وهو يعلم أين مكانه، فكيف بمن يفارق ولده وهو يعلم أنه حي، ولكن لا يدري أين مكانه وأين يعيش، ولهذا من شدة الحزن ذهب بصره وابيضت عيناه وعمي من شدة الحزن ومن شدة البكاء

﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ*قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَىٰ اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(يوسف :85-86).

أشكو بثي وحزني إلىٰ الله، لا إله إلا الله... إبتلاء يا إخوة ! إبتلاء ! و ما أكثر البلاء الذي نزل بالرسل والأنبياء.

لكن مرت الأيام وجاء العون سريعا بإذن الله قال ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ...﴾(يوسف : ٨٧-٩٢).

انظروا إلىٰ العفو والصفح ﴿ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ...﴾(يوسف : ٩٢-٩٤). تخيلت يا أخي، ما قال يعقوب هذه المقولة إلا عندما تحركت العير من مصر متجهة إلىٰ البدو ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾(يوسف :٩٤).

"إني لأجد ريح يوسف" كيف وجد ريح ولده؟ رائحة الولد قطعة من الكبد ! **" إني لأجد ريح يوسف"** سبحان الله ! كيف نقلت الرياح رائحة يوسف إلىٰ أنف أبيه وهو أعمىٰ؟ وكيف شم رائحة يوسف؟ وما ها هذه الرائحة التي شمها يعقوب كيف؟ وقد مر عليه قرابة ثمانين عاما وهو بعيد عن يوسف، ما هذه الرائحة التي شمها يعقوب؟

"إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون" لولا أن تتهموا عقلي، لولا أن يتهموني بالخرف، ﴿قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾(يوسف : ٩٥).

نعم رَدوا عليه كما قال ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا . .﴾ (يوسف : ٩٦).

لا إله إلا الله ! جاء الفرج بعودة ولديه وبعودة بصره، ثم انتقل من البدو إلىٰ أرض مصر وإلىٰ مكان أحسن وأريح من المكان الذي كان فيه، فقد كانوا يعانون بين الحين والآخر من القحط والجذب، فجاء الفرج من الله رب العالمين.

أيها الإخوة وهكذا يأتي الفرج بعد الكرب بأمر الله سبحانه وتعاله.

ما أكثر المواقف التي حدثت للرسل والتي حدثت للأنبياء والتي حدثت لسلف الأمة، ما أكثرها! مواقف كثيرة؛

نبينا صلىٰ الله عليه وسلم مر بكرب لا يعلم بها إلا الله، ومر بشدائد لا يعلم بها إلا الله، ومر بمواقف لا يعلم بها إلا الله، ولهذا، إبتُلي نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم بجميع أنواع البلايا وبجميع أنواع البلاء، وكشف الله عنه الكرب بفضله ومَنه، وهذا من أجل أن يرفع الله منزلته ومن أجل أن يُعلي درجته ومن أجل أن يضاعف له الأجور، فهو صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، أفضل الناس علىٰ الإطلاق، وهو سيد ولد آدم يوم

القيامة علىٰ الإطلاق، ومنزلته أعلىٰ المنازل، أعطاه الله الوسيلة والدرجة الرفيعة وهي أعلىٰ الدرج في الجنة، لا ينالها إلا هو، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

وكم نُعدد لو ذكرنا ما حدث للرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، ولهذا نذكر موقفين لرسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

الموقف الأول: ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت يا رسول الله هل أتىٰ عليك يوم هو أشد عليك من يوم أُحُد -يوم أُحد كُسِرت رباعيته، ودخلت حلقة المغفر في وجنتيه، وشُج وجهه وجُرِحت ساقاه، وسقط في حفرة، وضُيق عليه حتىٰ أنه كان في مكان ضيق ومعه سبعة، كما جاء في صحيح مسلم، سبعة من الأنصار ورجلان من المهاجرين، فقال الرسول لهؤلاء التسعة من المهاجرين والأنصار: من يردهم عنا -وقد أحاط بهم المشركون- من يردهم عنا وله الجنة فقام رجل من الأنصار قَتل ثم قُتِل فقال الرسول: من يردهم عنا وله الجنة، فما زال يقول هذا حتىٰ قُتل الأنصار السبعة رضي الله عنهم وأرضاهم، فقال الرسول: ما أنصفنا إخواننا"(1) - عائشة تسأل يا رسول ! الله هل أتىٰ عليك يوم هو أشد عليك من يوم أحد ؟ قال: "يا عائشة لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت من قومك يوم عرضت نفسي علىٰ ابن عبد كُلال فأبىٰ علي فذهبت مغموما فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب -أي مشي دون أن يشعر من شدة الغم والهم الذي نزل علىٰ قلبه، صلىٰ الله

(1) رواه أنس بن مالك. صحيح مسلم / 1789

وعلىٰ آله وسلم- ولم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فإذا أنا بسحابةٍ تظلني، فرفعت رأسي فإذا جبريل يقول: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، ولقد أرسل إليك ملك الجبال أي لتأمره بأمرك فقال ملك الجبال: يا محمد إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: لا إني أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده، ولا يُشرك به شيئا"(1)، ولقد حقق الله لنبيه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ما أراد، فلقد أخرج الله من أصلاب عُتاد المشركين مَن عبَد الله ولا يشرك به شيئا.

أخرج من أبي جهل عكرمة، وأخرج أيضا من عتبة ابن ربيعة أبا حذيفة، وأخرج أيضا من أمية صفوان، وأخرج من الوليد بن المغيرة خالد بن الوليد، وهكذا أخرج الله من عُتاد الكفار ومن صناديد الكفر، أخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يُشرك به شيئا.

الموقف الثاني: وهو أشد وأعظم، هذا الموقف الذي يهون كل بلاء أمامه، وتهون كل مصيبة أمامه وهو **حادثة الإفك**، وهذه التهمة التي نشرها المنافقون، وأعداء الرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم وأعداء المؤمنين حادثة مؤلمة، لم تكن هذه الحادثة مؤلمة للنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم بل هي مؤلمة لكل قلب مؤمن، لأنها خدش في عرض الأمة كلها، لأن عرض رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يعتبر عرض

(1) صحيح مسلم/ 1795.صحيح البخاري/ 3231. الألباني في صحيح الجامع / 5141.

الأمة، بل إن لأن زوجه عائشة رضي الله عنها هي أم جميع المؤمنين، **ومَن أبىٰ فقد كفر**، لأن الله يقول في كتابه الكريم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)؛ فهي أم كل مؤمن.

هذه الحادثة التي ضاق بها المسلمون ذرعا، عندما انتشرت هذه الإشاعات الكاذبة المُختَلَقة، التي قاد زمامها عبد الله بن أُبي بن سلول، رأس المنافقين ورأس الزندقة. وأشاعها من أشاع، لبث الوحي شهرا كاملا.

وتخيل يا أخي هذا الموقف كيف كان قلب رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم أمام هذه الحادثة؟ وكيف كان قلب أبي بكر رضي الله عنه؟ وكيف كان قلب زوجة أبي بكر ؟وكيف كانت قلوب المؤمنين أمام هذه الحادثة؟ وهم ينتظرون الفرج من الله، وهي تتمادىٰ، والأخبار تنتشر وهم ينتظرون الفرج، تخيل إلىٰ ثقل هذه الحادثة، وإلىٰ عظمها علىٰ قلب الرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم وعلىٰ قلب أبي بكر وأسرته وعلىٰ قلوب المؤمنين جميعا، ومع ذلك تجَلدوا بالصبر حتىٰ ينزل الفرج من الله رب العالمين.

تمادت هذه الحادثة، ولبثت شهرا كاملا، إلا انه من رحمة الله بأمنا عائشة رضي الله عنها أن خبر الإفك لم يأتها إلا قبل نزول البراءة بليلتين ويوم، وهذا من رحمة الله بها، لأنه ربما لو علمت في بدء الأمر ربما لتأثرت، وربما لماتت كمدا، لكن حفظ الله عنها هذا الخبر، وهذا من فضل الله عز وجل عليها ورحمته بها.

ولهذا تقول كما في الصحيحين، في هذه الحادثة، قالت: فلما رجعت مرضت شهرا كاملا -أي عندما رجعت من ذلك السفر - مرضتُ شهرا كاملا، ولم أعلم بشيء من ما يقول الناس، وما كان يريبني من رسول الله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، إلا أني لم أجد الرحمة التي كنت أجدها حين أمرض، وإنما كان يدخل علي ويقول كيف تيكم؟ ثم يخرج قالت فلما نقهت -أي تحسنَتْ من مرضها- خرجتُ أنا وأم مسطح ليلا إلىٰ قبل المناصع –مكان، وهو مكان كانت النساء تخرج إليه لقضاء الحاجة- وشأننا كشأن العرب الأوائل، كانوا يستنكفون أن يجعلوا الكنف في البيوت -أي في وسط البلاد- فكنا نخرج إلىٰ خارج المدينة –أي لقضاء الحاجة- وما كنا نخرج إلا ليلا إلىٰ ليل، وإنما كنا نأكل اللعقات من الطعام -أي ما كانت المرأة تأكل طعاما كثيرا، ولهذا ما كانت تقضي حاجتها باليوم إلا مرة واحدة، تخرج في الليل وترجع- قالت: فعثَرَتْ أم مسطح، فقالت: تعس مسطح –تعني ولدها- قالت: بئس ما قلت- انظر إلىٰ أم المؤمنين رضي الله عنها كيف تدافع عن المؤمنين- قالت بئس ما قلت : أتسبين رجلا شهد بدرا؟ - من أصحاب الرسول صلىٰ الله عليه وسلم- قالت أو ما سمعت ما قال؟ قالت: وما قال؟ فأخبرَتها بحادثة الإفك، التي كانت أشد علىٰ قلبها من الصواعق، قالت: فازددت مرضا إلىٰ مرضي، ورجعتُ فاستأذنت رسول الله عليه وعلىٰ آله وسلم أن أذهب إلىٰ أبوَي، وهي تريد أن تسأل أبويها هل هذا صحيح، هل الخبر صحيح، هي لا تعلم.

انظر برحمة الله عليها، قالت: فذهبتُ إلىٰ أبوَيْ فسألتهما، فقالت أمي: يا بنية هوني علىٰ نفسك، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أن أكثرن عليها. فقالت: فقلت أَوَ قد قالوا؟ سبحان الله! وقد قالوا؟ قالت: فرجعت بكيت ليلتي تلك ما يرقأ لي دمع حتىٰ أصبح، وإني كنتُ أظن أن البكاء فالقُ كبدي -كانت تظن أن البكاء سيفلق كبدها، من كثرة البكاء، رضي الله عنها- قالت: فلبثتُ فجلستُ أبكي طول يومي، قالت: فاستشار النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم أسامة بن زيد في الأمر، فقال له ما يعلم من أهله، فقال: يا رسول الله أهلك، ما نعلم عليها إلا خيرا، والله ما نعلم عليها إلا خيرا، أهلك يا رسول الله ! فاستشار الرسول عليا رضي الله عنه، فقال علي: إن الله لم يضيق عليك ولكن إسأل الجارية تَصدقك، أي إسأل َبريرة، فدعىٰ النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم بريرة، وقال: ماذا تعرفين عن عائشة؟ قالت: والله ما أعرف عنها شيئا أغمصه، إلا أنها جارية حديثة السن ربما نامت حتىٰ تأتي الداجن تأكل عجينها، أي والله ما أعلم عليها إلا خيرا فقام النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم خطيبا في المسجد فحمد الله وأثنىٰ عليها وقال: من يعذرني من رجل بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا، والله ما يدخل علىٰ أهلي إلىٰ بيتي إلا معي، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال : يا رسول الله أنا ! إن كان من إخواننا الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فيه بأمرك، فقام سعد بن عبادة، وكان رجلا صالحا قبل ذلك فقال: كذبت لَعَمرُ الله، والله لا تستطيع أن تقتله،

فقام أسيد بن حضير قال: كذبت لعمر الله والله لَنقتُلنه، إنك منافق وتدافع عن المنافقين، فجعل النبي صلىٰ الله عليه وسلم يخاطبهم حتىٰ سكتوا. ثم جاء الرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم في اليوم الثاني، وقد جلستْ عائشة رضي الله عنها الليلة الأولىٰ ثم اليوم ثم الليلة الثانية، وهي تبكي ليل نهار قالت: لم أكتحل بعين، وهي تبكي، قالت: فدخلت علي امرأة من الأنصار فوجدتني أبكي فجعلت تبكي بجانبي وعندي أبي وأمي وبعض أهل البيت فدخل النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، حمد الله وأثنىٰ عليه وقال: "يا عائشة إن كنت بريئة فإن الله سيبرئك، وإن كنت ألممت بشيء فتوبي إلىٰ الله، فإنه من أذنب وتاب إلىٰ الله، تاب الله عليه". قالت: وكنت جارية حديثة عهد، أي قليلة القراءة للقرآن، فقلت لأبي أَجب عني رسول الله، قال: ماذا أجيبه ؟ والله ما أدري ماذا أجيب رسول الله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، قالت: فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله، قالت: وماذا أقول لرسول الله، والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، وقالت قبل ذلك: فقَلص دمعي وكأني لم أجد قطرة واحدة، أي وقف الدفع ووقف البكاء عند أن سمعت هذا الخبر من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قالت: والله لقد استقر هذا الخبر في أنفسكم حتىٰ صدقتموه، فلئن قلت لكم : إني بريئة ، والله لا تصدقونني، وان قلت لكم أني ألممت بشيئ، والله يعلم أني منه بريئة ، لتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف(تعني يعقوب) حين قال: **فصبر جميل والله المستعان علىٰ ما تصفون.** قالت: ووليتُ بوجهي قِبل الجدار، قالت

بينما نحن كذلك والله ما قام من المجلس أحد، إذ أخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ما يأخذه عند نزول الوحي، فلما سري عنه إذا هو يضحك ، قال: يا عائشة أبشري فإن الله قد برأك، ثم تلىٰ الآيات من قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ إلىٰ آخر العشر الآيات، فقالت أمها: أمي قومي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم فاحمديه، قالت قلت: لا والله لا أحمد إلا ربي الذي برئني."(1)

فانظر إلىٰ هذا الموقف وإلىٰ هذا البلاء، وكيف لبث الكرب واستمر، ثم نزل كشف الكرب بإذن الله عز وجل ونزل الفرج من الله، ولكن بعد أن أخذ الكرب موطنه، وبعد أن أخذ الكرب مأخذه، ولكن نزل الفرج بإذن الله رب العالمين.

لهذا أمة الإسلام؛ إن الفرج قريب، لكن يحتاج منا عودة صادقة إلىٰ الله، ويحتاج منا إلىٰ توبة صادقة إلىٰ الله، ويحتاج منا إلىٰ تضرع بين يدي الله، ويحتاج منا إلىٰ دعاء، ويحتاج منا إلىٰ استغاثة، قال ربنا في كتابه الكريم:﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(نوح :١٠- ١٢)

(1) صحيح البخاري / 4141. صحيح مسلم/ 2770. البيهقي: شعب الإيمان: 5/ 2380.

وقال ربنا في كتابه الكريم:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ*فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام: ٤٢-٤٣)

المطلوب أن نتضرع فالبلاء إذا نزل، الرحمان يريد منا أن نتضرع بين يديه، وأن نظهر الانكسار بين يديه وأن نظهر الذل بين يديه، وأن نُظهر الضعف بين يديه، وأن نظهر لجوءنا إليه، فإنه سبحانه سرعان ما يأتي بالفرج، سرعان ما يأتي بالفرج.

وصدق صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم إذ يقول: "واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا".

أسأل الله أن يفرج عن هذه الأمة كربها، أسأل الله أن يفرج عن هذه الأمة كربها، أسأل الله أن يرفع عنا هذا الكرب، وأن يرفع عنا هذا الغلا، وأن يرفع عنا هذه اللأزمة، وأن يرفع عنا هذه المحنة، وأن يرفع عنا هذه البليئة، وأسأل الله أن يسقينا الغيث، أسأل الله أن يسقينا الغيث، وأن يحيي بلده الميت، اللهم أحيي بلدك الميت، اللهم اسقنا الغيث، وآمنا من الخوف وارفع عنا هذه الكرب يا رب العالمين.

اللهم عجل بالفرج، أنت صاحب الفرج، أنت رحمان الدنيا والآخرة، سبحانك اللهم بحمدك لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، صلىٰ الله وسلم وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.